﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾ [المائدة: 93]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الإجابة عن سؤالهم عن حال مَن شربوا الخمرة قبل تحريمها، ممّن مات، ومن بقي:

مناسبة هذه الآية لمَا قبلها؛ أنّه لمّا أمرهم بطاعة الله ورسوله، وأن يحذروا مخالفة أمره، وعدم التّولّي، والإعراض عن ذلك في الآية السّابقة، وأنّ هذه الطّاعة حاصلةٌ، فقد سأل بعضُهم: "كيف بمَن هلك من إخواننا وهم يشربونَها؟ وبنا وقد كنّا نشربُها؟"[1] وما الحُكم الشّرعيُّ في "شأن الأنفُس الصّالحة النّاظرة للورع المُتحرّك للسُّؤال عنه، وهو من مات منهم، وهو يفعلُهما"[2]، فنزلَت هذه الآيةُ إجابة لسُؤالهم المُتضمّن في الآية السّابقة، كما أنّها وطيدةُ الصّلة بالآية اللّاحقة، إذِ الأعمالُ والمنهيّاتُ منَ المطعُوم والمصيد، كلُّها اختبارٌ للإرادة الإيمانيّة، ومدى تنفيذ أوامر الله إقدامًا وإحجامًا، وائتمارًا وازدجارًا، وضابطُها التّرقّي في مدارج التّقوى، ومعارج الإيمان، ومسالك الإحسان.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

وصفٌ لمحذوف، تقديرُه (الأعمالَ الصّالحَاتِ):

1) ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: جمعُ مُؤنّثٌ سالمٌ، مفردُهُ (صَالِحَة)، وهو هنا وصفٌ لموصوفٍ محذوفٍ، تقديرُه (الأعمالَ الصّالحَاتِ)، والصّلاحُ: خلافُ الفساد[3]، وتتجلّى أهميّةُ الصّلاح ونبذُ الفساد في أنّ الحقّ ﷻ قرن في كتابه الإيمانَ مع الصّلاح في كثيرٍ مِنَ الآيات.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 10/576.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/395.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلح).

الـجُـنـاح يـدلُّ لـغـةً عـلى الميل والعدوان، وقد رُفع الجناحُ في الرُّخص:

2) ﴿جُنَاحٌ﴾: هو من (جنحَ)، وأصلُ هذا الجذر اللّغويّ، يدلُّ "على الميل والعدوان، ويُقال: جنح إلى كذا، أَي: مالَ إليه، وسمّي الجناحان جناحين؛ لميلهما في الشِّقَّين، والجُناح: الإثمُ، سُمّي بذلك لميله عن طريق الحقّ"[1].

3) ﴿طَعِمُوٓاْ﴾: مرّ تفسيره في إطعام، إلّا أنّه هنا يُفيد التّذوُّق، شرابًا كان أم طعامًا؛ لأنّ الآية نازلةٌ في نفر ممّن شرب الخمر؛ فسُمّي الخمرُ طعامًا.

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

نـفـي الإثـم والـحـرج عـنِ المُؤمنين فيما فعلوا قبلُ؛ لعدم وجود النّصّ:

المعنى العامّ للآية؛ يتلخّصُ في نفي الإثم والحرج عنِ المُؤمنين الّذين يعملون الأعمال الصّالحات، فهؤلاء لا حرج عليهم فيما شربوا منَ الخمر، وأكلوا منَ المطاعم المُحرّمة قبل تحريمها؛ ولهذا المعنى عُلّقت هذه الآيةُ بسبب النُّزُول، ذلك أنّ نفرًا من أصحابه تساءلوا عمّن شرب الخمر ومات، فما حكمه؟ فأنزل اللّه هذه الآية، وحكمه أن لا شيء عليه، إن اتّقى ما حُرّم عليه، وآمن، وعمل صالحًا، واتّقى الشّرك، وثبت على إيمانه، واتّقى المعاصي، وأحسن إلى النّاس؛ فكلّ ذلك مآلُهُ أن يرضى اللّه عنه، ويُكافئه على صنيعه تقوًى، وإيمانًا، وإحسانًا، واللّه يُحبُّ المحسنين.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

أسلوب نفي الجناح في القرآن الكريم أسلوب شائع:

حذف الموصوف، وإبقاء الصّفة اهتمامًا لها

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ مفادُهُ أنَّ الحقَّ ﷻ نفى الجُنَاحَ؛ وهو الإثم والمؤاخَذَة على فعل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الّتي أمرهم بها.

وفي الآية حذفٌ؛ فإنّ الصّالحات صفةٌ لموصوف محذوف، تقديرُه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنح).

(الأعمال الصّالحات)، وهو كثيرُ الاستعمال في الأسلوب القرآنيّ، والغاية منه الاهتمام للصّفة، والحثُّ عليها أكثر من الموصوف.

نفي الإثم والحرج بطريقة نفي الجناح:

مَـن مـات قبل تـقـريـر الحكم فلا يضيع الله سـعـيـه، بـل يجازيه بما نوى وعمل

وقد نفى عنهم ذلك في طعامهم، وهذا أسلوبٌ يستخدمه القرآن الكريم، يُسمّى أسلوب نفي الجُناح؛ وهو الإثم والحرج.

وللآية سببُ نزول مُتعلِّق بهذا المعنى؛ فإنّه قد رُوي عن أنس ﷺ، أنّه لمَّا نزل تحريمُ الخمر، أُريقَت في سكك المدينة، "فقال بعضُهم: قُتِلَ فُلانٌ، وقُتِلَ فُلانٌ، وهي في بُطونهم"[1]، فضلًا عنِ المسلمين القاطنين في البلاد البعيدة، من أولئك الّذين لم يصل إليهم تحريمُ الخمر، وهم ما زالوا يطعمونها، وسُؤالُهم هذا سؤالٌ فيه دلالةٌ على حرصِهم، وتمامِ استقامتِهم، وإشفاقِهم على إخوانِهم، ممَّن سألوا عنهم ممّن ماتوا، أو هم في البلاد البعيدة؛ فأنزل الله قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾، أي: "ليس على الّذين آمنُوا وعملُوا الصّالحات منكم حرَجٌ، فيما شَربوا من ذلك، في الحال الّتي لم يكنِ اللّه تعالى حرَّمه عليهم"[2]، فليس على من فعل ذلك جُناحٌ؛ لأنّه مِنَ المُباح وقتئذٍ، وهذه الحالةُ تُشبه في معناها حال المسلمين الّذين كانوا يستقبلون بيت المقدس في قبلتهم، ثمّ تغيّرت إلى بيت الله الحرام في مكّة المُكرّمة؛ فأنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: 143].

بلاغة الالتفات وأسلوب الانزياح الدّلاليّ؛ تنويعًا وتنبيهًا وتطرية لفكر السّامع:

الانـتـقـال من مستوًى خطابيّ إلـــى آخـــر؛ تقتضيه مخاطبة الفرد أو الأمّة

خاطب الحقُّ ﷻ المَنهيّينَ عنِ الخمر والميسر خطابًا طلبيًّا مُباشرًا بصيغ فعل الأمر ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾، ثمّ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ثمّ

(1) الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص: 209.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 10/576.

﴿وَٱحۡذَرُواْۚ﴾، وكُلُّها أفعالُ أمر تقتضي وجود المُخاطَب، ثمّ قال: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾، ثمّ أعاد الأمر بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾، وكُلُّها أفعالٌ دالّةٌ على الخطاب المُباشر الّذي يقتضي السّمع والطّاعة؛ لأنّها من دون وسيطٍ؛ لأنّ القرآن كلامُ الله، فكان الحقُّ ﷻ يتلُوهُ عليهم، وهم مُستمعون...

بعد ذلك كُلّه، انتقل انتقالةً كبيرةً منَ الكلام المُوجّه للمُخاطب إلى كلامٍ مُوجّه للغائب، أو ما في حُكمه، فقال: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾، فكأنّ هؤلاء ليسوا أولئك، كأنّه كلام جديد مُوجّه إلى أُناس آخرين، وهنا عدلَ عن كلام المُخاطَبين إلى كلام الغائبين، وهو ما يُسمّى الالتفات[1]، وهو أسلوبٌ ذو خاصيّة تعبيريّة إبداعيّة، ذات طاقة إيحائيّة، وهو مَبنيٌّ على الانزياح اللُّغويّ عنِ السّياق المألوف، وفائدته تنويعُ الكلام، وتنبيهُ المقابل، وتطريةُ نشاط السّامع وتشويقُه، فبعد أن كان يُخاطبهم خطابًا مُباشرًا، بقرينة أفعال الأمر المارّ ذكرها، عدلَ عن ذلك الخطاب إلى التّعبير بـ(لَيسَ) ومدخوليها، الدّالة على الغيبة، أو ما في حُكمها؛ لأنّهُ عبّر عنهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ لأسبابٍ منها: إقناعُ المُخاطَب، وكونُهُ للعبرة والتّعظيم، وكأنّ الخطاب كان للمَنهيّين، ثمّ انتقل إلى الأُمّة ليكون حُكمًا عامًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾ [يونس: 22]، فنقل الكلام منَ الخطاب (كُنتُم) إلى الغيبة (جَرَينَ)؛ لأنّهُ "كانت المُخاطبة للأمّة، ثمّ صُرفَت إلى النّبيّ ﷺ؛ إخبارًا عنهم"[2].

فائدة الالتفات كسر أفق التّوقّع لدى المُخاطَب:

الالتفات واحدٌ منَ الأساليب البلاغيّة المؤثّرة في المعنى، بتغيير جهة الخطاب

هناك سببٌ للمُتلقّي عامّة؛ وهو قارئُ القرآن في كُلّ عصر ومصر، وهو كسرُ أُفق التّوقُّع لدى القارئ، عبر العُدول عنِ الأسلوب اللّغويّ التّقليديّ، وقد ورد الالتفات هنا بين آيتين هما: [المائدة: 92] و[المائدة: 93]؛ لأنّه قد يردُ في الآية الواحدة، مثلما مرّ في الآية السّابقة نفسها في قوله: ﴿رَسُولَنَا﴾.

(1) يُعرّف الالتفات بأنّه: "انصراف المتكلّم عنِ المخاطبة إلى الإخبار، وعنِ الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومنَ الالتفات: الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر". ابن المعتزّ، البديع في البديع، ص: 152.

(2) المبّرد، الكامل: 3/17.

التّعبير بـ﴿طَعِمُوٓاْ﴾؛ لأنّه أرجع معنى الطُّعم إلى التَّلَذُّذ أكلًا وشربًا:

الوصف بعمل الصّالحات؛ لإقرار نفي الجُناح والإثم والعصيان عنهم

عبّر في قوله تعالى: ﴿طَعِمُوٓاْ﴾ بالفعل الماضي؛ لأنّه أمرٌ وقع بدلالة سبب النُّزُول، وقد أطلق اللّفظ على شرب الخمر، وأكل ما ينتجُ عن مُزاولة القمار، ويمكن تأويلُه بمن تناولوا منَ الخمر شُربًا، وتناولوا منَ الميسر أخذًا للمال، قال ابن قتيبة: "يُقالُ: لم أطعم خبزًا ولا ماء ولا نومًا، قال الشّاعر:

فَإِن شِئتِ حَرَّمتُ النِّساءَ سِواكُمُ *** وإِن شِئتِ لَم أَطعَم نُقاخًا ولا بَردَا

قال: والنُّقاخُ: الماءُ، والبردُ: النّومُ[1].

أمّا معناهُ فيمكنُ "أَن يكون معنى الطُّعم راجعًا إلى التَّلَذُّذ، بما يُؤكلُ ويُشربُ، وقد تقول العرب: تَطَعَّم تَطعَم، أَي: ذُق حتَّى تشتهي، وإذا كان معنى الكلمة راجعًا إلى الذَّوق، صَلُح للمأكول والمشروب معًا"[2]، فالتّعبير في الآية تعبيرٌ دقيقٌ؛ لأنّ الطّعم هو التّذوّقُ، وبذلك يشملُ المأكول والمشروب، "وطعم الشَّيء يطعمُهُ، ذاق طعمه، أَو ذاقهُ، فوجد طعمه منه، استُعمل في ذوق طعام الشَّيء من طعامٍ وشرابٍ"[3]، ومَئِنَّةُ ذلك[4] أنّهُ ذكره في مَوضِعين منَ القرآن الكريم بالمعنيين، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب: 53]، وهنا بمعنى الأكل، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: 249]، وهو هنا بمعنى الشُّرب، و(مَا) موصولةٌ، بمعنى (الّذي طَعِمُوهُ)، والعائد هنا محذوفٌ، وهو معروفٌ، فالمطعومُ هو الخمرُ؛ لذلك يبعد

(1) الدّرّة، تفسير القرآن: 3/204.

(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/88.

(3) رضا، تفسير المنار: 7/59.

(4) المَئِنَّةُ لفظ بمعنى العلامة والمظنّة، ومنه الحديث الوارد في صحيح مسلم (رقم: 2100)، حيث يقول النّبيّ ﷺ: «إِنَّ طُولَ صلاةِ الرَّجُلِ وقِصَرَ خُطبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِن فِقهِهِ، فأَطِيلوا الصَّلاةَ، واقصُروا الخُطبَةَ»، وفي (نيل الأوطار) عند شرح لفظ المئنّة ذكر الشّوكانيّ ما يلي: "(مَئِنَّةٌ)، قال النّوويّ: بفتح الميم ثمّ همزة مكسورة، ثمّ نون مشدّدة، أي: علامة، قال: وقال الأزهريّ والأكثرون: الميم فيها زائدة، وهي مفعّلة، قال الهرويّ: قال الأزهريّ: غلط أبو عبيد في جعل الميم أصليّة، وردّه الخطّابيّ، وقال: إنّما هي فعيلة، وقال القاضي عياض: قال شيخنا ابن سرّاج: هي أصليّة انتهى". يُنظر: الشّوكانيّ، نيل الأوطار: 3/320.

أن تكون (ما) مصدريّة، بل هي موصولةٌ معرّفةٌ، وإنّ ممّا يؤيّدُ نفي الجُناح عن هؤلاء، وأنّهُم طعموا مُباحًا في وقته، أنّه عرّفهم بالاسم الموصول، وهو أعرفُ منَ المُعرّف بالألف واللّام، فلم يقُل ليس على المؤمنين جُناحٌ.

أسلوبُ نفي الجُناح بـ(ليس) و(لا) في القرآن الكريم:

ورود أسلوب النّفي في القرآن، يتناسب مع التّوجيه لترك كلّ ما فيه جُناح

أسلوب نفي الجُناح في القرآن الكريم منَ الأساليب الشّائعة؛ وذلك بأن تأتي لفظة (جُناح) مسبوقة بأداة نفي، قد تكون هذه الأداة فعلًا، كالآية مَوضِع الشّاهد، وهي قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾، وقد وردت كلمة (جُناح) مسبوقة بالفعل (لَيسَ) في نحو تسعة مَواضِع: [البقرة: 198 - 282، النّساء: 101، المائدة: 93، النّور: 28 - 58 - 60 - 61، الأحزاب: 05]، وقد تكون الأداة حرفًا، كقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: 158]، فيما جاءَت مسبوقة بـ (لا) في نحو ستة عشَر مَوضِعًا، هي: [البقرة 158 - 229 - 230 - 233 - 234 - 235 - 236، 240، النّساء: 23 - 24 - 102 - 128، الأحزاب: 51 - 55، الممتحنة: 10]، وفي النّفي بـ(ليس)، فهي منقطعة عن لفظ (جُناح) لفظًا لا معنًى، وذلك بأن يَفصِلَ بينهما فاصلٌ، هو في حقيقته تقديمٌ للخبر على المبتدأ تقديمًا واجبًا؛ لأنّهُ نكرةٌ، على أن يبقى معنى نفي الجُناح قائمًا، كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: 198]، فقد فصل بين (ليس) ومدخولها بفاصل؛ هو المُتعلِّق الجارّ والمجرور.

(لا) الحرفيّة أقوى نفيًا من (ليس) الفعليّة في هذا الأسلوب:

أمّا (لا) الحرفيّة فلا تكونُ مُنفصلة، بل يجبُ اتّصالُ الاسم بها[1]، وهي (لا) النّافية للجنس؛ فتُباشر لفظة (جُناح) مُطلَقًا

(1) خالد الأزهريّ، شرح التّصريح على التّوضيح: 1/337.

من دون فاصل؛ لأنّ من شروطها ألاّ يَفصِل بينها وبين اسمها فاصلٌ، وهي أقوى نفيًّا، حتّى أنّها أعملت إعمال (إنّ)، لشبهها من جهة كون (إنّ) لتوكيد الإثبات، و(لا) لتوكيد النّفي، أمّا ليس فهي لنفي الوحدة، هذا فضلًا عن أنّ سياقات نفيها يكون غالبًا في الأمور التّكليفيّة ذات الأحكام الشّديدة؛ كأن يكون حُكمًا واجبًا؛ كإقامة حدٍّ من حدود الله، أو مُباحًا في مُقابل مُحرّم؛ كما في التّعريض بخطبة النّساء، أمّا النّفيُ بـ(ليس) فيكون غالبًا في ما ليس بذنب أصلًا؛ ليُحقّق نفيُ الجُناح كمالَ التّنزيه، أو رفعَ إيهامٍ؛ كالآية مَوضِع الشّاهد.

سياقات نفي (ليس) تكون غالبًا في الأمور التّكليفيّة ذات الأحكام الشّديدة

التّقوى، والإيمانُ، والعملُ الصّالحُ سياقٌ مُتدرّجٌ، وليس منَ المتشابه:

ثُمّ علّق ما مضى، أي: (لَيسَ عَلَيهِم جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) على قوله تعالى: ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، والملحظُ ههنا أنّه من عطف المُتشابهات المُتساويات في المعنى، إلّا أنّ الأمر خلافُ ذلك، فقد علّق نفي الجُناح على من طعم الخمر قبل التّحريم، علّقه على حصول التّقوى منه بـ(إذا)؛ وهي ظرفٌ مُتضمّنٌ معنى الشّرط، وهي لمَا استُقبل منَ الزّمان، لكنّها استُعملت لمَا مضى، بدليل معنى الآية وسببِ نزولها، ولها جوابٌ محذوفٌ يدُلُّ عليه ما قبله من نفي الجُناح، ثمّ عَطف عليها مجموعة منَ الجمل التّي تبدو مُتشابهة لفظًا، إلّا أنّها مختلفةٌ من جهة المعنى؛ فإنّ هؤلاء قد نُفي عنهم الإثمُ والحرجُ، "إذا ما اتّقَوا ما حُرِّم عليهم منها، وآمنُوا وثبتُوا على الإيمان والعمل الصّالح، وازدادُوه، ثمَّ اتَّقَوا وآمنوا، ثمّ ثبتُوا على التّقوى والإيمان، ثمَّ اتَّقَوا وأَحسنُوا، ثمّ ثبتُوا على اتّقاء المعاصي، وأحسنُوا أعمالهم، أو أحسنُوا إلى النّاس، واسَوهُم بما رزقهم الله

الظّرف (إذا) جوابها محذوفٌ، عطف عليه جُمل مُتشابهة لفظًا، مُختلفة معنًى

منَ الطَّيّبات"[1]، فالتّقوى والإيمانُ والعملُ الصّالحُ سياقٌ مُتدرّجٌ، يكمّلُ بعضُه بعضًا، وقيل: إنّه كرّره هنا؛ للتّأكيد والمبالغة في الحثّ على الإيمان والتّقوى[2].

العطف يقتضي المُغايرة، فذكر التّقوى مكّرر معَ الإيمان والعمل الصّالح، ثمّ معَ الإحسان:

المُغايرة توسّع آفاق المعنى، وتُعطي فُسحة يُتيحُها العطفُ

لعلّ أرجح الأقوال في تفسير هذه الآية، وهو قولُ الأكثرين: أنّ "الأوّلَ عملُ الاتّقاء، والثّاني دوامُ الاتّقاء والثّباتُ عليه، والثّالثَ اتّقاءُ ظُلم العباد، مع ضمِّ الإحسان إليه"[3]، ومعنى ذلك اختلافُ كُلّ جملة معطوفة عنِ الثّانية، وهو ممّا يُوافقُ كلام العرب؛ فإنّ العطف يقتضي المُغايرة، ولو كان التّغايرُ يسيرًا.

في الآية إيجازٌ بالحذف، فيقدّر لكلّ حذف ما يناسبه:

استُعمل (ثُمّ)؛ كي يكون إيماءً إلى الازدياد في التّقوى وآثار الإيمان

ثمّ إنّ في هذه الجمل منَ المحذوفات ما يناسبُها، ويكمّلُ معناها، فقوله: ﴿ٱتَّقَواْ﴾، قُدّر: (اتّقوا الشّرك، ثمّ آمنوا باللّه، ثمّ اتّقوا الخمرَ والميسرَ، بعدَ أن حرَّمَها اللّه، وأحسِنوا إلى النّاس)، كذلك فإنّ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدخُلُ في باب عطف الخاصّ على العامّ؛ للتّنبيه عليه والاهتمام له، "وأَمَّا عطفُ (وآمنوا) على (اتَّقَوا) فهو اعتراضٌ؛ للإشارة إلى أَنَّ الإيمان هو أَصلُ التَّقوى"[4].

وقد استُعمل هنا حرفُ العطف (ثمّ)؛ وهو حرفٌ دالٌّ على التّرتيب والتّراخي والمُهلة[5]؛ كي "يكون إيماءً إلى الازدياد في التَّقوى وآثار الإيمان، كالتَّأكيد"[6].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/291.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/90.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 12/89.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/35.
(5) السّيوطيّ، همع الهوامع: 2/27.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/36.

تذييل الآية بالإحسان؛ لأنّه أمرٌ زائدٌ على التّقوى:

ثمّ ذَيَّلَ الآية، بأنّه تعالى ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأنّ الإحسان له وجهان: الأوّلُ؛ «أَن تَعبُدَ اللّه كأَنَّك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنَّه يراك»[1]، وعلى ذلك فإنّ الإحسانَ أمرٌ زائدٌ على التّقوى، فمِنَ الإحسان ما لا يقفُ المُحسِنُ عند ما كلّفه اللّه ﷻ، بل يزيد عليها ضمن الشّرع طبعًا، كالّذي يتقرّبُ إلى اللّه بالنّوافل[2]، صلاةً وصيامًا وإنفاقًا للمال، وسوى ذلك من وجوه الخير الّتي لا حصر لها، وهذا هو الوجه الثّاني للإحسان؛ لذلك ذكر أنّ الحقّ ﷻ يُحبُّ المحسنين.

اللّه يحبّ المُحسنين؛ لأنّهم يتودّدُون إلى الله بما يزيد عنِ الفرائض المُلزمة

ثمّة فرقٌ بين المحبّة والإرادة، فالمحبَّةُ عكسُها، تجري على الشَّيء ويُرادُ غيرُه:

ثمّة فرقٌ مُعجميٌّ بين المحبّة والإرادة، وهو "أَن المحبَّة تجري على الشَّيء، ويكون المُرادُ به غيرَه، وليس كذلك الإرادة... وتقول: (اللّه يُحِبُّ المُؤمنين)، بمعنى: أَنّه يريد إكرامهم وإثابتهم، ولا يُقال: إنّه يريدهم"[3]، والوارد في الآية الكريمة على هذا النّسق؛ فالحقُّ ﷻ يحبُّ المحسنين، أي: يريد إكرامهم وإثابتهم على إحسانهم، ولا يُتصوّرُ أن يُقال في حقّهم: إنّهُ يُريدُهم؛ لأنّ المحبّة تختلفُ عنِ الإرادة كما تقدّم.

اللّه يحبُّ المُحسنين، أي: يريد إكرامهم وإثابتهم على إحسانهم

الألف واللّام تفيد الجنس والعموم، وتشملُ جميع المحسنين:

الألف واللّام جنسيّةٌ، تشملُ جميع المحسنين، وهي وإن كان الإحسانُ مذكورًا قبل في الآية، لكنّ الرّاجح فيها أنّها تفيد الجنس والعموم، كما أنّ قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه التفاتٌ منَ

هناك التفاتٌ بلاغيٌّ؛ غايته الحفاظ على الفاصلة القرآنيّة، وتطرية نشاط السّامع

(1) الإمام أحمد، المسند: 1/435.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 6/3391.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 121.

الخطاب إلى الغيبة؛ لأنّه خاطبهُم أوّلًا بدلالة فعل الأمر في الآية السابقة: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾، ثمّ عُدلَ عنِ الحضور إلى الغيبة، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، ولو بقي على النّسق اللُّغويّ لقال: (وَاللّٰهُ يُحِبُّكُم)، وفي ذلك مساسٌ بالفاصلة القرآنيّة، فضلًا عمّا يعطيه الالتفاتُ من معانٍ، لا سيّما في تطريّة نشاط السّامع، مثلما بانَ لنا ثَمّ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»